إلى جَميع أصدقائِي على مَواقِع السّوشَل ميديا.. وكلِّ من يُتابعُ مَسيرَتي الأدَبيَّة.

الطّبعة الرَقميَّة الأولى، كانون الثاني ٢٠١٨

.

أحبَبْتُكِ مُرْغمًا،
ليسَ لأنَّكِ الأجمَلُ بل لأنَّكِ الأعمَقْ..
فعَاشِقُ الجَمَالِ
في العادَةِ أحمَقْ.

مَحمود درويش

يَصعبُ على الإنسان أن يَكبَحَ جمَاحَ شَهَواتِه..
ويَستحيلُ عليهِ أيضًا أن يُشبعَها.

مدام دي لا سبليار

"لستُ مُقتَنِعًا بعد بهذِه اللُّعبَةِ يا صَديقي"

كانتْ هذه كلمات موسى صَديق مَروان لهذا الأخير في شقَّتِهِ، فوقَ ليلى ونُهاد، ذاتَ ليلةٍ قلِقَةٍ كانتِ الأرواحُ الماردَةُ فيها تَطوفُ حولَ هَيكَلِ العمارَةِ الفقيرَةِ المؤلّفة من ثلاث طبقات: ففي الأولى بيتُ أمِّ حَسَن وزَوجِها والثانية شقَّةُ ليلى ونُهاد والثالثة بيتُ مَروان. إنَّها الشَّيَاطين التي أرْخَتْ من يَدِها غيث الرَّاسي إلى حين.. وطارَدَتِ الفاتنَةَ التُّركيَّة روجين آتشي إلى هذا المكانِ المُكتَظِّ في قلب المَدينَةِ لكي تُجهزَ على ما تبَقَّى من حَياةٍ مُتَداعية تائِهَة، والمثلُ يقول "حيثُ تَجتَمعُ الشَّياطينُ فهناكَ السِّحرُ والجَمَال!" (يتصرّف). هي المَرَّةُ الأولى التي يأتي فيها موسى إلى بيتِ مَروان فوقَ دُكَّانةِ المُعلِّم خليل.. وقد تعمَّدَ المَجيءَ في منتصَفِ اللّيل فلا تُصيبُهُ نُشَّاباتُ العُيونِ النَّهِمَة حولَ العَمارَة. منذ الأشهُرِ الثلاثةِ الأولى، أي حتى لقائِهِ بروجين عندَ البَوَّابةِ الحديديَّة، وسُمعةُ مَروان في الحَيِّ نظيفَة! شابٌّ عازبٌ وحيد لا زُوَّارَ ولا أقرباء، والمُعاملةُ لطيفة معَ الجَميع. ومنذ حُضورِ روجين الغامض في الحَيِّ.. بدأتِ الأفكارُ والنَّوَايا تتَحرَّشُ بها، إلى أن حبَلَتِ

النَّوايا بالأفعال ونَفَّذَتها. ولكنَّ أحَدًا لا يعرفُ ماذا يَختَبئ وَرَاءَ الجُدران! وجدرانُ شُقَّةِ مَروان لديها الكثير من الأسرار لتُبقيَهُ بَعيدًا عن العُيونِ والألسُن.. إن هي إلاَّ وَكرٌ صَغيرٌ لكاسِرٍ صَغيرٍ زَغِبٍ، بل هي جُحْرُ لذَّةٍ أثيمَةٍ مَريضَة. لم يَرَ أحَدٌ امرأةً تأتي لعندِ مَروان ولا رَجُلاً، لأنَّ عَقاقيرَ النَّشْوَةِ تلكَ التي تتَسلَّلُ في جُيوبٍ وقنَوَاتٍ مَسْحورةٍ بَعيدًا عن مَجَاهرِ الفُضوليَّةِ، في حَيٍّ مُكتظٍّ يَزحَمُ فيه البناءُ كتِفَ رفيقِهِ في طابورٍ طويلٍ.. كأنَّها مُقدِّمَةُ مُظاهرَةٍ مُتشَابكةِ الأيدي والأكتاف. النّاسُ هنا يُفتِّشونَ بالسِّراجِ والفتيلةِ عن جَديداتِ أسرارِ اللّيالي، وأنباءِ الأيّام عندَ بزوغِ شَمسِ الصّبَاح. وسِفرُ أخبار هذا الحَيِّ كبير! وروجين آتشي ستكونُ الخبَريَّةَ الطازجة وتسليَةَ الألسُنِ الضَّجِرَة، وستُصبحُ حتمًا بطلةَ فَصلٍ طريفٍ مِن فُصُولِ هذا السِّفر.

– أنتَ فقط الكَمين يا موسى. قالَ مَروان لموسى.

– بل أنا شريكٌ لكَ في التَّخطيط ونِصفِ التَّنفيذ.. إذا حدَثَ، لا سمَحَ الله، ما لا تُحمَدُ عُقباه. أجابَ موسى.

– سأترُكُ هذا المَكان يا موسى.. لن أبقى بعدُ أكثرَ من هذا.

– إلى أين؟

– إلى الشَّرقيَّة.. الدّكوانة. عيونُ رجال التَحَرِّي تُلاحقُني، يجب أن أختفي. ولكن بعدَ أن أخزِّنَ طاقةً ونشوةً من حُسْنِ روجين. وَحيدَة غيرُ متزوِّجَة وقد وَضَعَت مولودًا منذ شهرين، ولا رُكنَ لها تستنِدُ إليه وَسِحرٌ لا مَثيلَ له. إنَّها طبْخَة جاهزة بكامِلِ توابلِها.. بل هي وَليمَةٌ يا صَديقي.. وفرصَة نادرَة!!

كانَ مَروان يتكلَّم وخبثُ الشَّهوَةِ يومضُ في عَينَيه، وإلحاحُ الغريزَةِ طيرُ يَقفزُ فوقَ غصونِ كلماتِهِ المُتَقطِّعَة مُعلنًا عن تصميمٍ لا تراجُعَ فيه البتَّة. واقتنَعَ موسى في النِّهاية بمشروع مَروان. تَصيُّدُ لذَّةٍ عابرَةٍ لن يَكونَ أصعبَ من بَيعِ وتَنَشِّي المَمنوعاتِ التي يَتَعاطانِها معًا. قالَ موسى:

– أقسمُ بأنَّكَ شيطانٌ في جسَدِ آدمِيٍّ!

– في الأسبوعِ القادم سأحزمُ أمري وأنقُلُ أغراضي ومَتاعي إلى الدّكوانة. وقبل الرَّحيل مباشَرَةً سنقومُ في تنفيذِ عَمليَّةِ سَطوٍ جِنسيٍّ طريفة.

وهكذا مَرَّتِ الأيّام.. وكانَ مَروان في أثنائِها ينقلُ متاعَه وعَفشَه البَسيط بالتَّقسيط إلى وَكرِهِ الجَديد والمؤَقَّت في الدّكوانة. وهو ستوديو من غرفتَين صَغيرتين في المستودَع السُّفليّ من بنايةٍ تجاريَّة. ثمَّ أزَفَ موعِدُ الوَليمَةِ الشَهيَّة. وجاءَ موسى لعند مَروان في منتصفِ اللّيل أيضًا، وهذه المرَّة الثانية و"الأخيرَة" عندَ التَّنفيذ، مُتَخفِّيًا بعباءَةِ الظُّلمَة. وتباحَثا في شَكلِ العَمليَّةِ وتَداعِياتِها.. وبَقِيا ساهِرَين طويلاً يحسوانِ القهوَةَ ويُشعِلان اللَّفائِف. قالَ موسى لمَروان:

– سيكتشفون أمرَكَ يا مَروان.. وستُضيفُ إلى لائِحَتِكَ نَوعًا آخرَ من المآثر إلى جانبِ الإتجار والتَّعاطي.

– الفاتنة التُركيَّة روجين طيَّرَتْ عقلي يا موسى.. لن أدَعْها تمُرُّ أمامي كالغَزالَةِ التائِهَة أمامَ صَيَّادٍ غَبيٍّ جَبان. منذ رأيتُها للمَرَّةِ الأولى وأنا أتحيَّن الفرصَة.. وآنَ أوانُها.

– لماذا لا تُحاولُ أن تتزَوَّجَها مثلاً؟! سألَ موسى.

– عنَّتِ الفِكرَةُ لي صَدِّقني.. ولكنَّ الجَميلةَ صَدَّتني بشراسةٍ غيرَ مَرَّة. لقد أذلَّتني في نِصفِ الشَّارع بصَوتٍ عالٍ. إنَّها ترتجفُ مذعورةً عندَما تراني! أعتقدُ أنَّها لم تخرُجْ بعدُ من مُشكلتِها مع ذلكَ الشَابّ غيث..

– من غيث؟ سألَ موسى.

– طوالَ هذه الشُّهور وأنا أتحَرَّى عنها عندَ المُعلِّم خليل، وأتَسَقَّطُ بعضَ الأخبار من الشَّائعاتِ المَنثورة في الحَيّ.

– وخلاصة هذه الشّائِعات؟

– كانت روجين على علاقةٍ بشَابٍّ اسمُه غيث، خَدَعَها وغرَّرَ بها، ثمَّ طرَدوها من بَيتِهم حيث كانت خادمةً عندَهم. وأنتَ الآن ستكونُ رَسولاً من الحَبيب غيث إليها.

– ماذا؟؟!! سألَ موسى مذعورًا.

– ما بك؟ أنتَ بارع في التَّمثيل يا صَديقي. وسأكتبُ أنا رسالةً تُعطيها إيَّاها، وتنقلُ إليها سلاماتِ غيث الطيِّبَة ورَغبتَه في إصلاح ذات البَين. وتأخذُها بالكلام وتُغافلُها.. ثمَّ تَضعُ الحَبَّةَ السِّحريَّةَ في فُنجانِها.. وتبقى تُحادثها ريثما "تَستَوي".. ثمَّ نسْحَبُها إلى فوق.

– وإذا جاءَ أحَدٌ فجأةً؟

– الفتاتان ليلى ونُهاد في عَملِهما.. وروجين في النَّهَار وَحدَها تهتَمُّ بطفلِها وأشغالِ البَيت. إنَّها خادمَة في البَيت عندَ الفَتاتَين!

وهكذا راحَ مَروان يشرحُ لموسى تفاصيل الخُطَّة، وأذعنَ موسى، معَ كونِ الاغتصاب العمليَّةَ الأولى للشَابَّين النَّزقَين المُنحَرفَين. المَهمَّةُ سهلَة جدًّا بالمُقارنة معَ عمليَّاتِ المُخدِّرات الحذِرَة والمُضنِيَة.. والتي تهدِّدُ الحَياةَ في بعض عثراتِها.

– تنتهي العَمليَّةُ من هنا.. ونَطيرُ من هنا إلى غَير رجعَة. أنتَ غريبٌ لم يَرَكَ أحدٌ في الحَيّ. حتى لو تذكَّرَتْ روجين ملامحَك فاسمُكَ مَجهول. والشُّكوكُ حتمًا ستلاحقُني نتيجَةَ التَّخمينات واختفائِي المتزامِن والسَّريع.

– واحتمالات الفشَل يا مَروان؟

– شبه مَعدومَة..

– وإذا حدثَتْ مفاجآتٌ في غيرِ الحسبان؟ سألَ موسى أيضًا.

– أنا موجود.. ونتعاون معًا على مواجهَةِ المأزق المُحتَمَل.

– هذه عَمليَّة مُختلفَة نوعيًّا عن سابقاتِها. إنَّها خطوَة أولى والخطوَةُ الأولى مُرتبكَة دائِمًا.

تسامَرا حتّى السّاعةِ الثالثة بعدَ منتصفِ الليل. فقال مروان لموسى:

– نَمْ ساعة زَمان.. ثمَّ اصحُ وارْحَلْ قبلَ أن تنقَشِعَ الظُّلمَة.

فنامَ موسى قليلاً.. ونصفُ نومَتِهِ تفكيرٌ في مساعَدَةِ صديقه الذي يَدينُ له بالكثير.. بل بحَيَاتِهِ! فقد أنقذَهُ مَروان مَرَّتَين من كمينٍ للشُّرطة، وفي الثّانيَة كانَ يَنزفُ دماءً من طَلَقٍ ناريٍّ أصابَه.

*****

كانَ الطَّقسُ غائمًا في ذلِكَ الصَّباحِ الشَّاحب، حيث أمْطرَتِ السَّمَاءُ مِدرارًا منذ بعد منتصفِ الليل.. وراحَتِ مزاريبُ السُّطوحِ تعزفُ لحنًا كئيبًا وتسكبُ موسيقاها على جُدرانِ الشّارعِ الطّويل الصَّفراء. كانَ يومًا من أيَّام أواخر الرَّبيع السَخيَّة. وكانت روجين آتشي لوحدِها في البيت بعدَ ذهابِ ليلى ونُهاد إلى عَمَلِهما، وشرَعَتْ طورًا تهتمُّ بوَليدِها مُصطفى وتُلاعبُهُ وتارةً تُنجزُ أعمالَ الخدمَةِ في البَيت. ثمَّ سمِعَتْ فجأةً رَنينَ جرَسِ الباب، ساءَلَتْ نفسَها في من عَسَاهُ الوافد الجَديد؟! لا يزورُها أحَدٌ في غياب ليلى ونهاد، وأمّ حسَن الجارة تَحتَها تأتي مرَّةً في الشَّهر. تسارعَتْ دقّات قلبِها.. ونادَتْ بحَذَر وهيَ واقفة على بُعدِ خطواتٍ من الباب:

– منِ الطّارق؟ أمّ حَسَن؟!

– لا ليسَت أمَّ حسَن يا روجين! أجابَ موسى الواقف خارجًا، وقد باشرَ في تنفيذِ المَهَمَّة بحسَب تعليماتِ مَروان، وبيدِهِ الرِّسالة المَزعومَة من غيث.

– من إذًا؟! سألَتْ روجين وقد اقترَبَت من ثقب عَينِ الباب لترى ملامحَ الصَّوتِ الرُّجوليِّ الغريب الذي ليسَ هو لأبي حسَن زوج أمّ حسَن ولا المُعلّم خليل ولا لصاحبِ الملامح المُخيفَة مَروان. رأت عَينَين رَماديَّتَين وجَفنَين سُفليَّين مُرتَخيَّين كجَفنَي الأميركيّ سلفستر ستالون:

– مَن أنتَ يا هذا؟ وماذا تُريد؟ سألت روجين بنَبرَةٍ حازمَة.

– أنا فوزي صديقُ غيث الرَّاسِي. أجابَ موسى.

وسكتَ ليَرَى تداعياتِ اسمِ غيث في كلماتِها وَرَدَّةِ فعلِها. واستيقظَ الألمُ الدَّفينُ في ذاتِها.. الألمُ المُخَدَّرُ تَخديرًا موضِعيًّا وَقتيًّا.. وهلِ النِّسيانُ غيرُ حالةٍ تَخديريَّةٍ لجُروحِ

العاطِفة؟ وإذا كانَ الجُرحُ الخارجيُّ يبقى ظاهرًا في الجسَد كلَّ العُمر، فكم بالحَري جُرُوح النَّفس؟! والجُرحُ الذي ألهَبَهُ الحِقدُ المُرّ جُرثومَةٌ لا عِلاجَ لها بسِوى الانتِقام. وبعدَ هذِه الحادثَةِ الدّاميَةِ الوَشيكَةِ أن تحدُثَ سَيَتَحوَّلُ اسمُ غيث الرَّاسي في ذاتِ روجين إلى كابوسٍ مُزمنٍ.. ومَجمرَةٍ لاهبَةٍ في صدرِها.. حارقةٍ لأحلامِ شَبَابِها العِذاب.

– غيث الرّاسِي!! قالت بصَوتٍ مُرتعِشٍ خافتٍ ذاهِل.

– بلى يا روجين وقد حَمَّلَني إليكِ رسالة.. وهذه هي الرِّسالة بيَدي إذا كُنتِ ترَيننَي من ثقبِ الباب.

وشالَ بالرِّسالةِ قربَ رأسِه، ورأت روجين الرِّسالة. وراحَتِ الاستفهاماتُ تَتطَحُ رأسَها: أحقًّا غيث يسعى ورائي؟ ماذا يُريد؟ كيفَ عرفَ مكاني؟ الكارثَة وقعَت؟ أيتزوّجُني؟ لا لا.. أيَمُدُّ لي يدَ المُساعدَة.. ماديَّة؟ لا. ماذا وراءَه إذًا؟!

– ولكن.. لماذا لم يأتِ هو بنفسِه؟ سألت روجين ثانيةً الوافِدَ الغريب.

– ربَّما في رسالتِهِ يشرَحُ الأسباب.

وفتَحَت روجين الباب، وقاسَت قامةَ موسى من أمِّ الرَّأس حتى الأخمصَين، ودَعَتْهُ إلى الدَّاخِل.. وهكذا أصبحَ الثَّعلبُ في خُمِّ الدَّجاج. جلسَ موسى في البَهو.. وأخذَتْ هي الرِّسَالةَ من يَدِه قبلَ أن يُعطيَها إيّاها، فَضتَّها وتاهَت عَيناها بينَ السُّطور. فيما رَاحَ هو يَعَبِّئُ رأسَها بكلامِ المُتَيَّمِ المُلتاع من فرقَةِ حَبيبتِه، وأشواقِهِ الحارَّة للتَّوبةِ وإصلاح ما فسد. كانتِ الرِّسالةُ موجزَة.. وفي السَّطر الأخير تلميحٌ خبيثٌ وتصريحٌ مُناور بفكرَةِ الزَّوَاج، والعَيشِ في حَيَاةٍ جدَيدَةٍ بَعيدًا عن الأهل والأقارب. ورأى موسى أساريرَ وجهِها الجَذَّابِ والكئيب تنفرجُ وتبتَهج.. أغمَضَتْ عَينَيها قليلاً.. ثمَّ عادَتْ وتَركَتهُما تَنزلقانِ بحُبور فوقَ الورَقة. وهكذا وَقعَتِ المِسكينة في الفَخّ! راحَ موسى يَنتظرُ فنجانَ القَهوَة بفارغ الصَّبر.. وهو يرتجلُ أخبارًا وحِكاياتٍ عن غيث.. وهي تستغربُ بعضَها وتُثني على البَعض الآخر، ولم يُبصِرْ بَعدُ حَدسُها الأنوثِيُّ طلائِعَ المَكيدَة. عادَتْ وسَألت:

– ولكن.. لماذا لم يأتِ هو بنفسِهِ!!

فارتَجلَ بعدَ صَمْت:

– ربَّما ظنَّ أنّكِ غاضبَة منه.. فقالَ أجُسّ النَّبض أوّلاً من خلال رسالة. وأنا أراكِ مستعدَّة لتلقُّفِ مبادَرَتِه، أليسَ كذلك؟

صارَ يأخذُها من حديثٍ ويُدخِلُها في آخر.. حتى قامت وعَمِلت فنجانَ القهوَة الذي انتظرَه وقد نَفَدَ صبرُه. عادَتْ وَصَبَّتْ فنجانَين وتابعا الكلام وهما يرتشفانِ القهوَة. ولكن.. متى يُسقِطُ لها حَبَّةَ الرّوفينول في قهوَتِها؟! قالَ لها:

– من فضلِكِ أحتاجُ لكوبِ ماء.

فقامَتْ إلى المَطبَخ لتجلُبَ له الماء.. وهو من فورِه وضَعَ الحَبَّة في فنجَانِها وذَوَّبها بالمِلعقةِ الصَّغيرَة في الرَّكوَة. عادَتْ وَأعطَتْهُ المَاءَ وشربَ.. وعادا إلى الكلام ثانية.. ومرَّت الدَّقائِق.. والحَديثُ يَجُرُّ الحَديث من إبداعاتِ موسى الخَلاَّقة. وتأثيرُ الحبَّةِ في العادَةِ يتراوَحُ بينَ عَشر دقائق ورُبع ساعة، ثمَّ تَحدُثُ الغيبوبَةُ نصفُ الواعيَة أو نصفُ التَّخدير.. العينُ ترَى الأشكالَ تتَحرَّكُ، والذِّهنُ في الحُلُم، والجَسَدُ واهٍ والصَّوتُ عاجز. مرَّتِ الدّقائق الأولى.. وبدأت تشْعُرُ بالتَغيُّراتِ الدّراماتيكيَّة في جسَدِها والتَّميلات الزّاحفَة إلى أطرافِها. أدرَكَتْ روجين بذكائِها الفِطريِّ وتجربَتِها القاسيَة أنَّها الآن أصبَحَت فريسَة، ولقمَةً سائِغَة لذئبٍ جائِع، وأنَّ حِكايةَ رسالةِ غيث خِدعَة. الغريق يتمسَّكُ بحبالِ الهَواء! ظنَّتِ الرِّسالةَ حبلَ نَجاةٍ وخابَ ظنُّها. لقد قرَأتْ جيِّدًا الوَمضَةَ الماكِرَة في عَينَي الصَّديق المَزعوم فوزي. ولكنَّ التَّخديرَ لم يصلْ بعدُ إلى ذروتِهِ.. فقامَت على مَهلِها إلى المَطبَخ.. وشَعرَتْ بشبَح موسى يُلاحقُها أيضًا على مَهل. نظرَتْ إلى ورائِها وَرَأته واقِفًا كالمومياء يذوبُ وسط ضبابَةٍ وَهميَّةٍ رسمَها التَّخديرُ الغائِص في خلايا رأسِها. فاستجمَعَتْ كلَّ قواها، وَدَخلتِ المطبَخ.. وقفَتْ وراءَ الباب مُتظاهِرَةً كأنَّها تبحَثُ عمّا تقدِّمُه أيضًا كضيافة.. رُكبتاها تكادانِ تنهاران.. أمسكَتْ بالسِكِّين.. وما إن خطا موسى وراءَها خطوةً واحدةً داخلَ المطبخ.. فبادَرَته بطَعنَةٍ في أسفلِ عنقِهِ الأيسَر، وضَعَتْ فيها ما تبَقَّى في جسَدِها الواهي من قوَّةٍ وعَزيمَة. فطَرْطشَتِ الطَّعنةُ

البِكرُ الدِّمَاءَ عليها وعلى بابِ وجِدارِ المَطبَخ. وزَعقَ موسى زَعقةً مُرعبةً سَمِعَها مَروان الذي كانَ ينتظرُ التَطوُّرات خارجَ الباب قلِقًا حَذِرًا. فاقترَبَ من الباب ونادى:

– موسى.. موسى افتَح لي.. موسى ماذا جَرَى؟!

واتَّجَهَ موسى متأوِّهًا نحو الباب يُريدُ أن يَفتَحَه، ويدُه على السِكِّينِ المَغروزِ في عُنقِه، فشدَّتْهُ روجين من سُترَتِهِ ودَفعَتْهُ إلى الأرض. وألقَتْ ظَهرَها على الباب وراحَتْ تنهارُ وتتزلقُ حتى تقَوقعَتْ وَجلَستْ على قفاها عندَ أسفلِ الباب، وقد أصبَحَتْ بالكامل تحتَ تأثير الرّوفينول، بَينَ وَعيٍ ولاوَعي عاجزةً عن الحركَةِ والصُّرَاخ.. وهي تسمَعُ صَوْتَين مُتناقِضَين يمزِّقانِ وجدانَها المُرهَق: صوتَ وليدِها مُصطفى في الغرفَةِ يصرُخ، وصَوْتَ مَروان كفَحِيحَ الأفعى خارجَ الباب يَهمُسُ ويَنادي:

– موسى ماذا جَرَى؟ إفتَحْ لي.

وفي نهايةِ المَطاف يئِسَ مَروان من نجاحِ شريكِه موسى في المَهَمَّة.. وأدركَ أنَّ الكارثة وَقعَتْ. وثبَ إلى شقَّتِه وجمعَ متاعَهُ في حقيبةٍ رياضيّة صَغيرَة.. وأسرَعَ نحوَ الدّرَج. رَأى المُعلِّم خليل يَصعدُ الدَّرَج على مَهل! فتوارى وترَيَّث. قرَعَ المُعلِّم خليل البابَ عندَ أمّ حَسَن وَسَألها إذا كانت سَمعَت شَيئًا غريبًا وأجابَتْ بالنَّفي. عندَها عاد الرَّجُلُ السَّمين ونزلَ إلى دُكَّانِه.. فأطلقَ مَروان صانعُ الطّبخَةِ الفاشلة ساقَيهِ للرِّيح.. ولم يَرَ أحَدٌ وَجهَه في الحَيِّ بَعدَ ذلك. بيدَ أنَّ وجودَ جثَّةِ صديقِهِ موسى وتزامُنِ فرارِهِ واختفائِه معَ حُدُوثِ الجَريمَة، سيجعلُهُ حتمًا طريدَةً عَتيدَةً لرجالِ التَحَرِّي.

كانَ المَشهَدُ غامضًا.. وكانَ صَعبًا في البدايةِ تأكيد مؤامرَةِ الاغتصاب! لقد قالت روجين للمُحقِّقين في المُستشفى، حيث اكتشَفوا الرّوفينول في جسَدِها، أنَّها مُتيقِّنَة من أنَّ مَروان هو الرّأس المُدبّر.. فقالوا لها أنَّ مروان اختفى هو الآخر، وهذا لن يُعفيَها من المُثول أمامَ القضاء! فخرَجَت من المُستشفى إلى النَّظارَةِ حيث بقيَت عشرَة أشهُرٍ تعاني الأمَرَّين قبل أن أطلقوا سَرَاحَها على أنَّها مُعفاة منَ العِقاب. لقد عملَتْ ظروفُ الحَياةِ تحالفًا ضدَّ هذه الحسناء التركيَّة روجين آتشي، وحاصَرَتْها من كلِّ ناحيَة، وصوَّبَتْ نحوَها أصابعَ الاتّهام! وهكذا تبدو الحَيَاةُ أحيانًا عَشيقةٌ مزاجيَّة عبَثيَّة في تفضيلاتِها..

تختارُ الأشرار وتَستَثني الأخيار، تُدلِّلُ الظالمين وتبطُشُ بالمَظلومين، تعاشِرُ التَوحُّشَ وتنفرُ منَ الإنسانيَّة!! لقد أهدَتِ الحَياةُ الجَمَالَ إلى روجين وَرْدةً لطيفةً فاتنَة.. ثمَّ أثارَت غَيْرَةَ التُجَّارِ بائِعِي الوُرودِ عليها. لم تأتِ الفلِسطينيَّتان ليلى ونُهاد لزيارَتِها في السِّجن، ولم تعرفْ عن مَولودِها مُصطفى شَيئًا! ويبدو أنَّ السّيناريو نفسَه يُلاحقُها أنَّى ذهبَتْ تَعويذَةَ شؤم. في بيتِ الرّاسِي كانتِ التَّعويذةُ "رومنسيَّةً".. وعندَ ليلى ونُهاد باتَتْ داميةً متوَحِّشَة. كانت في السِّجنِ تحادثُ طِفلَها.. ثمَّ يَنتابُها الهَذَيانُ حتى الصُّراخ. وعَنَّ لها الانتِحار ذاتَ يَوم! فشِلَتْ. وأنقذَتْها إحدى السَّجينات عندَما علَّقت نفسَها بشَرشَفٍ قماشِيّ في قضبانِ الشبَّاكِ العالي مع السَّقف. قالت لها السَّجينَة:

– لماذا تفعَلينَ بنفسِكِ هكذا؟ ستخرُجين من هنا، وأنتِ شابَّة وَجَميلة والمُستقبَلُ أمامَك.

وأجابَتْ روجين:

– هذه هي مُصيبَتي.. ولَعنَتي. سيَبقى الجَمالُ سَببَ بلائِي. أريدُ أن أتخلَّصَ منه.

فقالت لها السَّجينة:

– بالعكس.. هذِه نِعمَة! الجمَالُ سلاحٌ فتَّاكٌ وسيفٌ ذو حَدَّين إن أحسَنتِ استِعمالَه، وحَارَبْتِ فيهِ بذكاءٍ وفِطنة.

وهكذا بدأَت أرواحُ السِّجنُ تسكنُها. ومنطقُ المَسجونات، على خلفيّاتِ مشاكلهنّ وجناياتِهنّ، يَغزو عقلَ روجين ويَصبغُ حياتَها وذهنَها البَريءَ بمَنطقِ هجومِيِّ النَّزعَة شُجاع. الحياةُ شرِّيرَة والمُجاهِدونَ الغالبون في مَيَادينِها وساحاتِها أشرار! تمامًا كساحَةِ المَعرَكَة.. لا النّاسكُ ولا الشّاعر ولا المُربِّي ولا أستاذ الموسيقى يقفزونَ في أرضِ المَعرَكة.. وإنَّما المُحاربون الشَّرسونَ الأقوياء!! وهذا المنطقُ ضَخَّ طاقةً جَديدةً في حَيَاةِ روجين، وتصميمًا راسِخًا.. وتفاؤُلاً قلِقًا بضرورةِ الاستمرار والمُجاهدَة. تعلَّمَتْ في السِّجن من إحدَاهُنّ الرَّقصَ الشَّرقِيّ.. وفي غضونِ ثلاثةِ أشهر كانت ترقصُ وتُبدِعُ وتهُزُّ خَصرَها وثَديَيها بجاذبيَّةٍ آسِرَة فاقَتْ مُعلِّمتَها بأشواط. قالت لها معلِّمتُها السَّجينة:

– أنتِ مَوهوبةٌ وذَكيَّة.. والآنَ راقصَة مُثيرَة. لا تخافي.. تستطيعين أن تفعلي الكثيرَ منَ الأشْيَاء في الحَياة.

*****

وفي اليومِ الذي خرَجَتْ فيه روجين آتشي إلى الحُريَّة، ولا تدري كيفَ ولِماذا! ذهبَتْ إلى شُقَّةِ الفَتَاتَين ليلى ونُهاد.. وكانتِ الطَّامةُ الكُبرى!! سُكَّانٌ جدُد في شقَّةِ الفلِسطينِيَّتَن!! سألتِ المُعلِّم خليل، فأجابَها:

– صدِّقيني يا حبيبَتي روجين.. لقد رَحلتْ ليلى ونُهاد بعد الحادثة بشَهر. لقد كرِهَتا البَيت. ولم تقولا لنا إلى أين.. وبالتَّأكيد طفلُكِ مَعَهُما.

صمتَ قليلاً يتأمَّلُ عَينَيها الدّامعَتين.. ثمَّ أضاف:

– لقد تركَتا عَمَلَهُما في بيروت أيَضًا. لقد قالت ليلى لأمّ حسَن أنَّهما مُسافرَتان إلى الكوَيت.

وراحَتِ روجين تمشي تائِهَةً في شوارع المَدينة بلا هدَف. تبكي بمَرارَةٍ وتكفكِفُ دموعَها.. وهي جاهلةٌ أنَّ الحَيَاةَ غيَّرَت رأيَها من نَحوِها.. وهي على وشَكِ أن تُعطيَها فرصَةً جَديدَة جميلة. هناكَ قربَ الحَديقَةِ الكبيرَة.. بينَ الباركينغ والبنايَةِ القديمَة كانَتِ الكاميراتُ كحَشَراتٍ عملاقةٍ متناثرَةً بينَ نساءٍ ورجالٍ أنيقين.. وحَشدٌ يُشاهدون مِن بَعيد.. كانوا يُصَوِّرون لقطةً من فيلم. رَأتْ روجين المُخرجَ يَغضبُ ويطلبُ منَ الأنيقي الهندام أن يُكرِّروا الأمرَ نفسَه. وَحَانتْ منه التِفاتة عن غيرِ قصدٍ وهو يحكُّ ذقنَه.. فرأى تَحتَ الشَّجَرَةِ جَمَالاً شاحبًا كئيبًا.. لا هو شرقيّ ولا غربيّ.. فيه سِحرٌ وغموض.. فيه رُوْحٌ وغِوَايَة. كأنَّ السَّماءَ أرْسلَتْ إليه هديَّة!

– أنتِ هناك تحتَ الشَّجَرَة.. يا حُلوَه.. تعالي تعالي. نادى المُخرجُ روجين.

وكانت هذه اللّحظَة مفصليَّةً تاريخيَّةً في حياةِ الحَسناء التُركيَّة، بل هي الرَّابطُ الذي شَكلَ الماضي البائسَ بالمُستَقبلِ المُشرق، والسِّحرُ المُبدِعُ الذي حَوَّلَ روجين آشر إلى الفنَّانة المَعروفَة روجا، أميرَةِ الإغراء والأنوثَة.